

أضواء البيان

@ 327 في الكشاف ، التقدير { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } . إنه لمعجز ، وقدره ابن عطية وغيره فقال : { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } ما الأمر كما يقوله الكفار ، إلى غير ذلك من الأقوال . .

قال مقيده عفا □ عنه وغفر له : الذي يظهر صوابه بدليل استقراء القرآن : أن جواب القسم محذوف وأن تقديره { وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ } ما الأمر كما يقوله الكفار ، وأن قولهم المقسم على نفيه شامل لثلاثة أشياء متلازمة . .
الأول : منها أن النبي صلى □ عليه وسلم مرسل من □ حقا ، وأن الأمر ليس كما يقال الكفار في قوله تعالى عنهم : { وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا } . .
والثاني : أن الإله المعبود جل وعلا واحد ، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم : { أَجْعَلِ الْاِسْمَ لِهَيْبَةٍ إِِلَآهًا وَآحِدًا إِنِّ هَذَا لِلشَّيْءِ عُجَابٌ } . .

والثالث : أن □ جل وعلا يبعث من يموت ، وأن الأمر ليس كما يقوله الكفار في قوله تعالى عنهم : { وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَآ يَدْعَثُ اللّٰهُ مَن يَمُوتُ } وقوله : { زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّنَّ يُدْعَوْنَ } وقوله تعالى : { وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَآ تَأْتِينَا السَّاعَةُ } . .

أما الدليل من القرآن على أن المقسم عليه محذوف فهو قوله تعالى : { بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ } ، لأن الإضراب بقوله بل ، دليل واضح على المقسم عليه المحذوف . أي ما الأمر كما يقوله الذين كفروا ، بل الذين كفروا في عزة ، أي في حمية وأنفة واستكبار عن الحق ، وشقاق ، أي مخالفة ومعاندة . .

وأما دلالة استقراء القرآن على أن المنفي المحذوف شامل للأمور الثلاثة المذكورة ، فللدلالة آيات كثيرة : أما صحة رسالة الرسول صلى □ عليه وسلم ، وكون الإله المعبود واحداً لا شريك له فقد أشار لهما هنا . .

أما كون الرسول مرسلًا حقا ، ففي قوله تعالى هنا : { وَعَجَبُوا أَن جَاءَهُمْ مِّنْ نَّذْرٍ مِّنْهُمْ } وقال الكافرون هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ { يعني أي لا وجه للعجب المذكور . لأن يجيء المنذر الكائن منهم . .

لا شك في أنه بإرسال من □ حقا .